

قصص

لعنة الساعة التاسعة

المجموعة القصصية الحائزة على جائزة نادي القصة السوداني



محمد الخير حامد

قصص قصيرة

لعنة الساعة التاسعة

المجموعة القصصية الحائزة على جائزة نادي القصة السوداني

(مسابقة الكاتب نبيل غالي للقصة القصيرة ٢٠١٠م - المركز الثاني)

محمد الخير حامد

معلومات وفهرسة النشر

اسم الكتاب: لعنة الساعة التاسعة
القصص القصيرة العربية
اسم المؤلف: محمد الخير حامد عبد العزيز
حجم الكتاب: ٢٢,٥ * ١٤,٥ سم
عدد الصفحات: ١٠٠ صفحة
رقم الإيداع: ٢٠١٩/٠٥١٧
الطبعة الأولى: ٢٠١٣ م
الطبعة الثانية: ٢٠١٩ م
صورة الغلاف للفنان العالمي سلفادور دالي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

يمنع نسخ أو استعمال جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيها التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

لعنة الساعة التاسعة

قصص قصيرة

محمد الخير حامد

مجموعة لعنة الساعة التاسعة؛ مجموعة قصصية تأخذك إلى عالم آخر، بما فيها من أجواء قصصية وسردية بديعة ومختلفة. تفنن الكاتب في رسم شخصياته بحرفية عالية..

عبد الناصر عبد المنعم، صحفي مصري

لعنة الساعة التاسعة عندما بدأت أقرأها؛ فكرت أن أرتشف كوباً من الشاي، فهي كانت كيكة ساخنة وطازجة تلتهمها دون توقف حتى تنسى كوب الشاي الذي أمامك بارداً..

صباح محمد الحسن، صحيفة "المشهد الآن" السودانية، ٢٠ أكتوبر ٢٠١٣ م.

قصص مجموعة لعنة الساعة التاسعة مبنية على الشكل القصصي المستقر، حيث يصف السارد الشخصية، ويعطينا الخلفيات التاريخية التي تستند إليها، والتي تصبح ضمن العوامل الصارمة التي حددت الخطوط العامة لها، ثم بعد هذا يدخل الكاتب شخصياته هذه داخل موقف ما، إذ يمثل الموقف "العقدة". ثم يمسك الكاتب بالخيط الذي يوصل السرد إلى نهايته المرجوة. ويجيء السرد في لغة حية، شديدة الإيحاء، وعلى قدر كبير من السلامة والإجادة..

صحيفة "الرأي العام" السودانية- الملف الثقافي، الثلاثاء ٨ ابريل ٢٠١٤ م

توقيعُ باللون الأحمر

هو لا يدري كيف حدث ذلك؟! !

لكنه على كل حال قد حدث..

كانت الساعة تمام العاشرة مساءً، عندما أوصل زوجته وأطفاله إلى البيت الكبير وعاد راجعاً بعد زيارة حماته المريضة..

الأجواء بينه وزوجته كانت؛ لا زالت، في توترها المستمر. وفي الأيام الأخيرة الماضية؛ زادت حدة انفعالاتهما أكثر. تعودت زوجته الطلب منه أن يوصلها إلى البيت الكبير بعد كل نقاش بينهما.. كان يظن أن ذلك مجرد لعبة ومناورات دلالية وسياسية منها، وبدا له كنوعٍ من التمتع اللذيذ الذي تتصنعه النساء وتفعله دائماً، ولكن هذه المرة فإن الأمر مختلف. فقد زادت من عنادها وإصرارها، فأوصلها إلى منزل والدتها وهو منزعج وكاره لحياته معها.

لم يثن عليها كالعادة عند وداعه، أو يطبع على خديها قبلتيه الحنونتين.. بل مَدَّ إليها يده وودعها بكلمتين حَس فيهما بطعم شيءٍ يحتضر رغم طول السنوات. بعدها تحرَّك راجعاً، وتمنى في نفسه ألا تعود إلى بيتها سريعاً، فهي فرصة لها، وله أيضاً، كي يراجعا مواقفهما، ويحددا مصيرهما ومصير أطفالهما.

وبينه ونفسه بدأ في تَخِيل حياته القادمة.. غيابها عنه؛ يمثل فرصة له كي تهدأ أعصابه، ويمنحه مساحةً جديدةً للتفكير ملياً في

موضوعها. سيهنأ بالهدوء والسكينة، خاصةً بعد تطور نقاشاتهما وزيادة حدتها في الأيام الأخيرة وارتفاع أصواتهما لدرجة أن وصلت إلى الجيران.

يتذكر آخر حوار دار بينهما.. جاء منهما وارتقى على أحد المقاعد منادياً أحد أطفاله:

- تعال يا أحمد، وقبل أن يكمل جملته، ومع علمه أن ابنه الشقي لا ينوم مبكراً، إلا أنها كانت في تلك اللحظة كمن يبحث عن سبب للمشاكل..

ردت عليه بثورة غير مبررة:

- أي ولد هذا الذي يصحو وينتظرك حتى تفرغ من تجوالك الليلي المستمر، وترجع له في مثل هذه الساعة؟! ..

أجمته المفاجأة.. وجعلته يتساءل بينه ونفسه.. ما الذي حدث؟! وما الذي يجعل هذه المرأة تتفوه بهذه العبارات الغريبة!!.. ومن أين لها بهذا الأسلوب الوقح، وما الذي غيرها؟!.

لكن سرعان ما هدهاه تفكيره إلى الحقيقة التي ظل يتهرب منها لسنوات.. تذكر كيف أنه تزوجها رغم أنها كانت دون قناعاته، وأنها فرضت عليه. وحديثه الدائم لها عند كل مشكلة: "لو خُيرت من جديد لما اخترتك زوجةً لي". تذكر أيضاً، جارتهم المتحررة الشرسة وزياراتها المريبة، وأيقن أنها قد بدأت تمارس شرورها ومهنتها القدرة في بيته، وهذا ما كان يخشاه. لذا أيقن بوجوب استئصال الفيروس قبل انتشار الوباء سريعاً.

لم يكن يتوقع أن يتطور الأمر بهذه السرعة، فكم تألم لهذا الوضع، بل إنه شعر أكثر من مرة بكلمة الطلاق تحوم وتتبادل بين لسانه وشفثيته. تكاد أن تخرج فيتذكر أولاده، وبيته، وأهله الذين اختاروا له هذه الزوجة، فيتعوّذ من الشيطان ويبعد هذا الخاطر الصعب وينساه.

وبينما هو في هذه الذكريات والآلام، والأمطار ترسم بقدراتها المترققة على زجاج سيارته أشكالاً متموجة وغير مفهومة، ومع حركة المنشآت التي تتحرك بالزجاج الأمامي لتوزيع المياه الهائلة مُفسحةً مساحة للرؤية لقيادة سيارته.. أخذ الخيال بعيداً مخترقاً هذا الجو الماطر، متمنياً شيئاً يغسل حزنه كما تغسل القطرات الزجاج الذي أمامه وتمنحه رؤية الطريق.

وفي إحدى المنحنيات المتفرعة عن الطريق الرئيسي، وتحت قطرات المطر التي بدأت تتزايد؛ لمح أشباحاً، أو شبحاً يتحرك. لم يتبين شكله في بادئ الأمر، وإن كان قد تأكد أنها أشباح لعدد من الأشخاص. لم يستطع أن يتفرس ويدقق في ملامحهم، وخمن أنهم يمشون الوصول إلى منازلهم خوفاً من هذه الأمطار الغزيرة، فأبواباً من سير العربية، وأوقفها على بعد خطوات منهم. ما أدهشه، أنه رأى شخصاً واحداً يتحرك نحو العربية، وشيئاً فشيئاً، بدأت ملامح الشخص القادم تبين وتوضح. كانت امرأة في العقد الثالث من عمرها، جميلة القوام، مليحة الوجه، فارعة الطول. تمشي بإيقاع مُفتعل، تفوح منها -برغم غزارة الأمطار- رائحة عطرٍ نفاذ لم يتذكر اسمه لحظتها، ولكن يبدو في هطوله ونفاذه أقوى من

إحساسه بأي شيء آخر. اقتربت من نافذة الباب الأمامي للسيارة، انحنت.. فتح لها الزجاج لتتحدث.. وهاله ما رأى.. فقد انحنت المرأة على النافذة بصورة مكنته من التجول برشاقة إلى ما تحت رقبتها والتمعن في جغرافية صدرها المكتنز، اللاهث، الباحث عن الحرية كأنه يريد أن يقول للجميع أنا هنا. سألته بلطف، ودلال :

- لو سمحت؛ ممكن أصل معك لنهاية الشارع؟!
لم يستطع أن يرفض طلبها.. إيمانه العميق بمبدأ الاشتراكية، وفضل الظهر، وخدمة الآخرين يجعله يستجيب للطلب. وبرغم انتقادات زوجته وإهاناتها اللاذعة له في ذلك السلوك، إلا إنه لم يعد يفكر كثيراً، بل يفعله دائماً، وببساطة.. لذا ردَّ ببرود رجل متعود:

- تفضلي، ليست هناك مشكلة، سأصل إلى نهاية الشارع، وبإمكاني توصيلك معي.. قالها وفتح لها باب السيارة.

جلست بجواره بالمقعد الأمامي، وتحركت السيارة. تملكه إحساس غريزي حاد بأن أجواء السيارة أصبحت نسائية مثيرة، وأن رائحة عطرها النفاذ قد حوّلت الأجواء وهواء العربة إلى غرفة نوم عتيقة.. وأطبق عليهما سكون وصمت ثقيل، بينما حاول هو أن يحرك مؤشر الراديو باحثاً عن شيء يزيل هذا الصمت فيشغلها عنه.. صمتاً طويلاً إلى أن بادرتة سائلة:

-هل تسكن في نفس هذا الحي؟!
فكر ملياً، ثم رد وهو يحرك يده اليمنى مغيّراً عصاة القيادة بتوتر، وضاعطاً برجله اليمنى لزيادة سرعة العربة أكثر:
- نعم، أسكن بنهاية هذا الشارع، أجاوب ولم يلتفت إليها..

تمنى أن تصمت لكنها لم تفعل ذلك.. فقالت:
-إذن، أنت من جيراننا.. ولكننا لم نتعارف من قبل، وفي ثوان تم
التعارف:

-أنا «فريال» صاحبة بوتيك سيمون.
- وأنا، محمد.. محمد صالح، مدير شركة للاستيراد والتصدير.
- تشرّفنا

حتى تلك اللحظة لم يحاول الالتفات إليها. كان خائفاً من
إغرائها، وسطوة العطر النفاذ، وانهزامه بفتنتها.
لعن في نفسه الشيطان، وتعوّد منه مئات المرات، لكنه في النهاية
استجاب بعد أن شعر برغبة جارفة وقوية تجره جرّاً للالتفات
يميئاً، والتحدث إليها..

والتفت إليها، متفحصاً لملامحها بدقة وتركيز، وجال بخياله
يقارن بينها وزوجته.. وجهها الجميل، الودود، الذي لا يخلو من
جرأة غير محببة بالنسبة لأمثاله.. كانت تميل إلى الإثارة وهو لا
يرغب في ذلك.. تمعنّها.. نزل إلى الأسفل قليلاً، كانت ترتدي بلوزة
قطنية، ملتصقة بجسمها تماماً، وبسبب الأمطار؛ ظهرت كل
تعرجات ومنحدرات صدرها اللاهث المثير، وزاد من فتنتها اللون
الوردي الجميل.. خطر له خاطر أن يخون زوجته. قائلاً لنفسه:
"تستاهل الخيانة، فقد أهملتني ولم تحاول إرضائي والمحافظة
عليّ"، لكن سرعان ما طرد هذا خاطر وأخذ يهمس لدواخله بتوتر:
"لن أفعل ذلك" .. عاش مع زوجته عشر سنوات ولم يخنها رغم كل
تلك التفاصيل التي حدثت. ويخونها مع مَنْ؟، مع هذه المرأة التي

يبدو من كل شيء فيها أنها من بنات الليل.. استغفر في سره، مواصلاً السير في طريقه، تبقت أمامه عدة محطات ليصلا إلى مقصدهما.. زاد من سرعة السيارة، ويبدو أنها صممت على أن تعيد محاولاتها في استنطاقه مجدداً، فعادت إلى الحوار مستدرجةً إياه بطريق آخر:

- قلت لي إنك مدير شركة استيراد وتصدير، في أية سلعة تعملون؟.. ضحكت وأكملت ربما نتعاون.. قالتها بغنج مفتعل وواضح.. سكت ولم يجبهها، فحوّلت مجرى الحديث بسرعة مواصلة.
- لماذا لا تجيبني !! وأخذت تواصل في حديثها عنه: يبدو عليك الإرهاق والتعب، تبدو مرهقاً جداً... أحس بانفعالاته قد بدأت تتحرك.. نجحت إذن هي في محاولاتها الساعية ليتواصل الحوار.. لمست وترأ حساساً به .. فقال مدافعاً:

- لا ليس هناك شيء.. مجرد تعب وإرهاق؟.. الحمد لله ما في شيء، ما الذي يبدو عليّ.. قولي لي؟!

- تبدو .. لست طبيعياً، مع أنني لا أعرفك لكن إحساسي لا يخيب وأشعر بأنك غير مرتاح ببيتك وأسرتك ..، شعرت هي بدغدغتها لوتره الحساس، بينما غادر هو في تلك اللحظة محطة ثباته وأخذ في الابتعاد إلى ماضيه ومشكلاته وشجارهما العنيف.. ولم يشعر بشيء بعدها إلا ويده تتشابك بيديها.. لم يستطع أن يمنع روحه من العبث والتناجي، والاستكشاف، وأخذ في الارتفاع والتحرك شيئاً، فشيئاً إلى الأعلى....

هي، ارتعشت وأبدت -في بادئ الأمر- قليلاً من التمتع والرفض..
لكن عندما لامست يده صدرها أيقن برضوخها واستسلامها.
قبلها، قبلة هادئة، لم يذق طعم حلاوتها طوال العشر سنوات
التي قضاها متزوجاً، أو هو أحس بذلك. تأوهت، وتنهدت. وراحا في
نشوةٍ وتلذذٍ طويل، وامتلاً جسمه بالحرارة، والانفعال، والدم..
نسي الليل والطريق، والمطر، والأولاد، والزوجة، لكنه لم ينس
في تلك اللحظة أن يغلق هاتفه الجوال خوفاً من المخابرات المزعجة،
ثم سحب قلمه الأحمر من جيبه ووقَّع توقيعه الأول بصفحة
الخيانة.

كبرياءٌ مهزومة

أراك تخطو نحوي بسرعةٍ وعَجلة، حُلَّتْكَ السوداء تزيد من سخونة الجو عليك.. أعرف أنك ستشمئز من شكلي، وملابسي، ووقفتي في طريقك. لكنك لن تحتمل بالتأكيد جُمَلته التي قالها.. جملته التي قطعتُ أمامي كل أملٍ في الحياة الهانئة، وجلبت لي شماتة أهلي، وإخواني.

- لقد صُودرتُ حاجياتك كلها، وتفضّلنا عليك، بالإعفاء من دفع الغرامة المقررة، وهي مائة ألف جنيه..

قالها هكذا، كأنه يلقي إليّ بخبرٍ أو نبأٍ سعيد. لم ينتبه لحجم الأسى والحزن والإحباط الذي انتابني.. مسحتُ دمعاً كادتُ أن تتسلق جدران جفوني هاربة. بكيت من أعماقي أكثر، وتسَلَّلت دفقة وجعٍ سحريةٍ غشت القلب فأيقنت أنه قد ضاع، وتاهت أحلامه بين ماضٍ كئيبٍ قضيته حالمًا بضع سنوات، مرفوع الرأس، صافي الجبين، وحاضرٍ مؤلمٍ ورديءٍ، بدأت بتذوق مرارته بفاجعةٍ عميقة. تغتالني الكآبة، وأنا الذي ناضل وصارع من أجل أن يعيش مستقيماً، وقويماً، سمحاً بين الناس.. وأعرف أيضاً أنك مثل غيرك، ستحتار في قدمي الحافيتين، ووقفتي بهذا المكان الصعب، وقد تتساءل أيضاً: كيف تمزقني الشمس بلهبها وأشعتها الحارقة، فلا تجد مني غير الصبر!!..

كيف مر ذلك اليوم، لا أدري؟..

أسرتي بكاملها غاضبة مني، يريدونني أن أنضم إليهم في عملهم، حتى أصدقائي استهوتهم الفكرة، رأيتهم بعد أيام يقفون بالسوق الكبير، يلتقطون ما جادت به أيادي خلق الله. وفي مرات آخر ينالون سخط واشمئزاز المارة. أسرتي بكاملها تعيش في هذا الجو. أما أنا، لم تعطلني يدي اليمنى التي لم أعرف تاريخاً لفقدانها من جسدي؛ عن التطلع إلى ما هو أكبر وأسمى من انتقادهم وترويعهم.

قلت لأبي ذات مساء؛ وهو جالس على سرير ممزقٍ وبال، يحسب ما قام بجمعه نهاراً :

- سمعت أحد الأئمة يقول: «لا تسأل الناس».. وقبل أن أكمل الجملة رد علي بانفعال غضوب :

- عن ماذا أسألهم؟

قلت متعمداً ألا أشرح ما مضى لمعرفتي بأنه يعلم، لكنه يتجاهل حتى يخيب أمني في الحديث، ومناقشة الموضوع معه:
- لا تسأل الناس حتى لا تأتي يوم القيامة، وليس في وجهك مزعة لحم .

فما كان منه إلا أن قال:

- تركنا لك أنت هذا الطريق، أتقول هذا بدلاً من أن تفيدنا بيدك اليمنى المبتورة هذي!!

تركتهم، وعملت عند بائع الزهور، أسقي له وروده وأزهاره، أتنسم عطرها وعبيرها، فتنقي نفسي من الكآبة والحزن أحياناً،

وبينما كان هو يعاملني بغلظةٍ وضجر، كنت أستفيد من أجرتي البسيطة التي كان ينفحني بها آخر الشهر.. كنت فرحاً بما أجمعه غاية الفرح، لأن نجمي البعيد كاد يبرز فجره، ولا بد في يومٍ ما أن أصل إليه.

وظللت أعمل معه حتى جمعت لنفسي أكثر من خمسين جنيهاً وفتحت متجرّاً صغيراً بالسوق.

- اعطني سيجارة..-

قالها بائع الزهور موجهاً حديثه لي، ولم يكن قد انتبه إليّ تماماً، فإذا به يجدني أمامه، ألجمته المفاجأة وكاد أن يعتذر عن خطئه بسؤالي. ظناً منه أن لا علاقة لي بالمتجر، إلا أنني قلت له مثبتاً ملكيتي :

- نحن هنا لا نبيع السجائر، بل نقدم للناس ما يفيدهم فقط. وكان متجري حافلاً بالحلوى ولعب الأطفال، وغيرها من الأشياء، أما المزاج والدخان فلم يكن لي منه رزق .

مشتُ أيامي هكذا، يحفها الرخاء، ويتبعها الرضا، حتى جاء ذلك اليوم الذي عمّت فيه الفوضى، وضج السوق الكبير بالصراخ.. تدافع الناس، الباعة الجائلون هربوا بأشياءهم، وسمعتُ صافرةً غريبة وقوية. الكل هرب ممسكاً بأشياءه وحاجياته إلا أنا. لم أتمكّن من الهرب، لأنني لا أملك القوة ولا أستطيع الهرب بما معي من أشياء.. ولم أهرب وأنا الذي جمعت هذه الأشياء من عملي، ورزقي

الحلال.. وها أنا أبيع وأشتري، على الملأ، أمام الجميع، مثل غيري من بقية المحترمين .

لم أعِ بنفسِي إلا ورجلان يقبضان عليّ، ويجمعان ما أعرض من أشياء. عطور، زينة، اكسسوارات، ويُرْمِي بي بظهر عريّة تحمل مجموعة من البشر، يبخلقون في وجهي بغبائٍ وجنون. كنت أكثرهم حزنًا، ربما لأنّ بعضهم كان قد تعوّد ذلك، بينما أنا أراها للمرة الأولى في حياتي! أو ربما لأنّني شعرت بأنّها قد تفقدني حلمي، وربما أشياء أخرى، لم أدركها حينها!!..

وعندما قيل لي: صُودرت حاجياتك، وتفضلنا عليك بالإعفاء من دفع الغرامة؛ قلت في نفسي، وكبدي تتحرق ألمًا: "ربنا كريم". وكانت الجدران تردد معي وتقول بذات الخشوع: "ونعم بالله الوكيل، ونعم بالله الوكيل".

وها أنت ذا تقترب منّي، أراك تخطو نحوي بسرعة، تقترب أكثر، وأكثر، أترى ستمنحني شيئاً؟! أعرف أنك ستشمئز من شكلي ووقفتي، أمد يدي إليك برجاءٍ وتوسل، وكبرياء هُزمت ليلة أمس، تلتفت إليّ وتهمس شفّتك بكلمتين، باردتين:

-ربنا كريم، فتردد الجدران خلفك

"ونعم بالله الوكيل، ونعم بالله الوكيل"...

زَيْنُوبَةُ

رمتُ زينب حاجياتها والكيس الذي تحمله بركن الغرفة الوحيدة بالمنزل، وتبعته بإخراج زفرة عميقة قبل جلوسها على العنقريب^(١) المهترئ الذي يضم أجساد أطفالها الثلاثة. وقبل أن تستقر تماماً؛ وللحظات قصيرة في جلستها؛ اتجهت إلى أقصى فناء منزلها الجالوس لتغسل وجهها وجسمها من عناء يومٍ طويل، وهجيرٍ حار، قضته تبيع الشاي بموقعها الذي توجد به يومياً بسوق المعروضات المستعملة قريباً من وسط المدينة. ثم نادى على جاريتها سعدية وبدأت تسألها عن الأخبار وأحوال الحِلَّة^(٢)، وعشاء الأطفال، خاصة الصغير منهم، فقد تركتهم لها كالعادة، وهي من تقوم بمساعدتها في رعايتهم أثناء فترة غيابها طوال النهار.

قالت زينب:

- كيف حالك يا أختي سعدية!!.. وقبل أن تنتظر ردّها على تحيتها؛ تابعت الحديث: ما الأخبار الجديدة بالحي اليوم، هل هناك جديد؟.. وهل أكل الأطفال وناموا؟..
جاوبتها سعدية مع نطقها للحرف الأخير من تساؤلها:

١ سرير شعبي يصنع محلياً من الخشب وينسج بالحبال

٢ الحي الذي تسكن به

- أكيد يا زينب.. أكلوا.. وناموا.. وأكملت: من يقدر على انتظارك حتى هذا الوقت، تعرفين الأطفال، لا قدرة لهم على السهر..

- وهل أكل بكري جيداً؟
تدرك أنه طفلها الأصغر، وهو من يحتاج للعناية أكثر من بقية إخوانه..

تجيبها سعيدة بثقة من جديد:

- نعم.. لكنه نام بعد أن أرهقني بأسئلته الكثيرة..
تنبهت زينوبة مثل كل مرة للخدمات الجليلة التي ظلت تقدمها لها جارتها وفكرت في كيفية ردّها الجميل، فقالت تسأل لكن عن شيءٍ آخر:

- وأخبار زوجك.. هل من جديد؟

- الحال سيءٌ هذه الأيام بصراحة، زوجي بلا عمل ولا رغبة له في البحث عن وظيفة أو مهنة، وأضافت بنبرة أشبه بالألم، يُخيل إليّ في كثير من المرات أن زوجك الهارب أفضل منه..
قالتها بأسى لأنها نكأت جرحاً غائراً بروح جارتها.. عندما أحسّت بذلك، اتجهت نحو الداخل لكن زينب لم تصمت.. وقالت بطريقتها المعهودة عند إنهاء الحوار:

- الله المستعان.. وتبعته بقولها.. سأتي لأخذ أطفالي..
نظرت إلى أطفالها النائمين بعطف، وطاقف بها ذكريات أيامها السابقة، قبل أن تسكن في هذا البيت الكئيب البعيد. وزفرت زفرة

عميقة، ثم ألقى نظرة حانية على طفلها الصغير وقبّلتها برقة، مؤثراً
أن لا يصحو من نومه، بينما ودعتها سعدية بقولها:
- تصبحين على خير يا زينوبة..

ذهبت وتركتها وحدها تحاول أن تفكر في حل مشاكلها التي
أصبحت تؤرق مضجعها... فصاحب المنزل؛ أو هذا المأوى العشوائي
البعيد؛ سرعان ما سيأتي ويطالبها بقيمة الايجار الشهرية، وليس
لديها ما تعطيه مقابل ذلك.. هو، طلب منها أن تعطيه أشياء أخرى
مقابل الايجار، ولاحظت مضايقاته بعد عجزها عن دفع المبلغ الشهر
الماضي، فكيف ستقابله هذا الشهر، وليس لديها ايجار شهر
واحد؟!، وزوجها عديم المسؤولية ذاك؛ سبب كل هذه المتاعب التي
تعيشها اليوم. فمنذ أن تزوّجت به، وهو غير مبال، لا يسأل عنها،
ولا عن أولاده. يغيب شهوراً فيتذكرها مرة ثم يأتي في إحدى
الأمسيات غير المعروفة، ويفتعل مشكلة جديدة، مطالباً إياها بالمزيد
من المال لحل مشاكله التي لا تنتهي، ولا تعرف لها شيئاً، فيذهب ولا
يهمه كيف يعيش أطفاله، أو كيف تسير أحوال هذه الأسرة الصغيرة
في غيابه..

وفي السوق تبدو الحياة - لمن هو غيرها - أكثر هدوءاً واستقراراً،
برنامج حلو، جلسات، نقاش، ضحك وفرشة.. وكما تقول
صديقتها علوية، فالعلاقة المتميزة بين بائعات الشاي ومجموعة
الهائمين بالسوق العشوائي أحلى بكثير من حياتهن بالأحياء الآتي
يسكنُ بها.. تبين لها ذلك، وتطابق مع حالتها بعد ما سمعت ما
حكته صديقتها، وكشفها عن تعامل الجيران معها وتعاليمهم الكبير.

إذ لولا وجود جاريتها وصديقتها؛ لتركت الحي كله ورحلت إلى منطقة أخرى .

تقول زينب وهي تقلّب الجمر وتحرك الشاي فوقه بعدم تركيز:
- أقسم لك بالله يا علوية، لو لم تكنّ معي في هذا السوق لتركته منذ زمن، وتتبعها قائلة من أعماقها، ربنا يخليكن لي وما يفرقنا أبداً..

رغم ذلك فإن السوق كان لا يخلو من المضايقات، والمعاكسات المزعجة، فالشباب والعمال، وبعض الطلاب الذين تعودوا على زيارة محل زينب وشرب الشاي والقهوة، كانوا دائماً يغزونها بنظراتهم ويغازلونها بالسر والعلن، قد تتضايق هي، لكنها في غالب الأحيان؛ تحاول مسيرتهم بالقفشات والضحكات المصنوعة، للمحافظة على الزبائن، ودائماً ما تنصحها صديقتها علوية، وتناجيهما عند غضبها وتضجّرهما قائلة لها :

- يجب أن تتعاملي معهم بلطف حتى تحافظي على أكبر عدد منهم، طبيبتك وجمالك هما رأس مالك في هذا السوق ويجب عليك أن تحافظي بهما على زبائنك.

كانت تقول لها تلك العبارات وتشير بطرفٍ خفي إلى منصور الشاب الذي يملك عمارة ذات طوابق خمسة، ورثها عن والده الذي توفي مخلفاً ميراثه لابنه الوحيد، كما ترك له مجموعة من المحلات التجارية التي يقدر عائدها شهرياً بالآلاف الجنيهات.

لم يجد منصور شيئاً سوى الجلوس أمامها يومياً ومغازلتها ومعاكستها، راجياً أن تنساق يوماً خلف رجاءاته ونداءاته، متمنياً

استجابتها ورضوخها وانهارها أمام عطاياه وماله الكثير..
تضجرتُ منه كثيراً، حتى أصبحت ترسل إليه طلبات القهوة والشاي
مع أحد الصبية، وهي جالسة بمكانها، خوفاً من غزلياته
ومعاكساته المتكررة.

فتسمعه يقول دون خجل:

- مستوى الخدمة قَلَّ جداً يا زينب، الظاهر انك أصبحت لا
تهتمين بالزبائن.. عليك بالمزيد من الاهتمام؟! .. تغيظها المخاشنة..
فتهرع إليه وفي نفسها أن تخذله أمام الجميع وتوبّخه فتتذكر وصية
صديقتها علوية.. وتسكت ..

دارت كل هذه الخواطر المريعة بخيالها قبل أن يهاجمها النوم
لتبدأ غداً نفس المشوار المهلك..

وفي الصباح، ذهبت كعاتها مبكرة للعمل، وعقلها ما زال
مشغولاً بجمع مبلغ الإيجار، وملابس المدارس للأطفال، فالمدارس
ستفتح أبوابها مطلع الأسبوع القادم، وسداد الدين لصاحب الدكان
الذي انتظرها طوال الشهر الماضي، ولم تفِ بوعداها له. ركبت البص
المتهاك المتحرك نحو السوق. أحسّت به كأنه يمشي راسماً مأساتها
على الأسفلت الشاحب كشحوب غدها الميئوس منه، قالت
للكمساري^(٣):

- لو سمحت، قبل محطة السوق..

٣ معارون سائق العربة الذي يسانده في جمع الأموال من الركاب

واختارت مقعداً يجاور النافذة لتترك لعقلها فرصة السرحان والارتياح قليلاً، بعيداً عن همومها التي غطت على كل شيء جميل لاح في مسار حياتها.. كالعادة، كانت الرحلة تضح بمواضيع، ومناقشات عن الرياضة والانتخابات، والأمم المتحدة، وهبوط مستوى الغناء وترديه، وبروز ظواهر اجتماعية كثيرة.. لكن كل هذه الموضوعات لم تلفت انتباهها أو تشغل عقلها فقد كان تفكيرها يمشي بعيداً، بعيداً..

لم تنتبه من رحلة توهانها تلك إلا والكمساري ينادي عليها معلناً وصول البص إلى محطته الأخيرة ونزول الركاب.. أعطته الأجرة المتعارف عليها، ثم شكرته واستعجلت نازلة، وما زال عقلها مشحوناً بالأفكار والهواجس، والهموم. إيجار، دكان، ديون، لبن الأطفال، مدارس، ضغوطات عديدة... وأخذت تحسب بأصابعها وتجمع مطلوبات اليوم ومصاريف الشهر، وتهمس لنفسها من أين لي؟!!

نسيت أنها قد دخلت وتوسطت شارع الأسفلت السريع لتصل الجانب الآخر حيث صديقاتها وحاجياتها وموقعها المعروف. نسيت ذلك، وعقلها مشغول تماماً عن هذا الواقع فهي بمنصف الشارع، لم تسمع كل صيحات المازة، ولا صفارات الإنذار، ولا أبواق السيارات، لمنعها من مواصلة المشي والسرحان وعدم قطع الشارع السريع.

كل المارّة وضعوا أيديهم فوق رؤوسهم وأغمضوا عيونهم، لأن سائق الشاحنة القادمة بسرعة تجاهها كان هو وحده من يحدد مصيرها في اللحظة التي تلت ذلك..

هنا فجأة؛ انقطع التيار الكهربائي، وخفتت إضاءة جهاز التلفاز رويداً رويداً، إلى أن أصبحت سوداء تماماً بفعل الظلام الذي حلّ وداهم المنزل الذي يسكنه مجموعة من الطلاب الريفيين، لدرجة أن عبد الغفار الذي يدرس بالمرحلة الجامعية لم يستطع أن يمنع نفسه من الصياح بغضب، وانفعال:

- يلعن أبوكم .. لقد كرهننا بسبيكم كل شيء يا ناس الــــ.....
فقد كان الأكثر اندماجاً مع الفيلم الذي انقطع قبل أن يكتمل..

طُوح

قالت:

- لا أستطيع أن أحيأ بدونك، فأنت كل شيء في حياتي!. تودعني كل ليلة، وتصبحني بابتسامتك الجميلة. كلمات جوفاء، فارغة من أي معنى. كلمات لا تروي ظمئي، واشتهائي. تقول ذلك وتستعملني أداةً لأهدافها، أنا وأوراقها المكدسة على مناضد غرفتها، نحن جميعاً نمثل محور حياتها ومصدر اهتمامها أو هكذا يبدو للعيان. تغمرنا بحنانها الفياض؛ ورقَّتْها الكاذبة، حينما تحتاج إلينا، وتنسانا وقتما تجد أنيساً سوانا، تلجأ إلينا دائماً في مساءاتها الحزينة والدموع تطفح من عينيها. لا تجد لنفسها متنفساً غيرنا في مثل تلك اللحظات العصبية.

تأتي إلينا بكبريائها المكسورة، وقلبها المسكين المهزوم مستأنسةً بنا. تستأذني في قضاء بعض الساعات من الليل، تجدني لم أنم وأنتظرها بلهفة، مجيئها يطرد النوم من جفوني، أساعدها في غمرة احتياجها لي.. تلمس أوراقها .. دفتراها تجده يغالب النعاس ويحاول أن يهزمه ليصمد مثلي. أقول لنفسي معزياً: ربما عليّ أن أفرح لأن هناك من يساهر مثلي في هذا الوقت ويتفاني.. ربما كنا، أنا، وهو الوحيدين اللذين يعرفان أسرارها ويكتمانها بدافع الحب والإحساس

والتقرب منها، حتى لا تستبدلنا بغيرنا، فأمثالي كثر، وأمثاله موجودون أيضاً.

أراها تفعل بي أشياء عجيبة، متحوّرة ومتكوّرة، تسرع، وتبطئ، ولكنها تبدأ دائماً من الأعلى فتنزّل بعد مسارٍ طويلٍ إلى الأسفل قليلاً.. قليلاً..

بعض أصدقائي تحدثوا معي، ووصفوا ما تفعله فقالوا: إنها أشكال من الرسومات والفن التشكيلي. تسكبني حروفاً وأشكالاً متناسقة، عميقة الدلالة، بعضهم قال لي إنها تبدو كاللغات القديمة.. هي لغة لا أفهمها، لكنها تجد الإعجاب من قبل الكثيرين حولها. عرفت أنها تسميهم النقاد والمعجبين..

لا بد أن هناك شيئاً ما يجعلها تتقرب إليّ هكذا!! ولكن أين أنا منها؟! فبالرغم من تقربها إليّ، وتقربي إليها، فإننا لم نزل كما نحن، هي، بعيدة عني، ولم أستطع أن أنال منها شيئاً. كانت قاسية عليّ كثيراً ولا زالت، لكن لا بد من أن هناك وسيلة للوصول إليها. إن لم يكن الوصول إلى قلبها فلاشياء أخرى إذن عليّ أن أسعى.

هل يا ترى، ستمنحني فرصة للتمتع بالنظر إلى عينيها، أم سأظل هكذا دائماً، وجهي ووجهها مُبعدان قصداً عن بعضهما البعض؟!.

أو ربما، سأستمع بلامسة خديها؟! أيمكنني لثمها وتقبيّلها؟! يحدث ذلك مثلما كنا قديماً، في السابق؟! أيام دراستها، كانت تمنحني أجمل لحظات عمري، فعندما تستعصي عليها مسألة ما في

الامتحان، كانت تسرح بعيداً وتتهدد ويرتجف قلبها، وقلبي أيضاً. ترتجف هي خائفة، بينما يرتجف قلبي لاقتراب لحظة نشوته عندما تُقَرَّبه من شففتيها، وهي تفكّر في حل المسألة. فتدغدغني دون وعيٍ منها، وتضغط عليّ بأسنانها بلطف، وأنا أتلذذ بذلك أيما تلذذ. تحركني على شففتيها وأنا أتلذذ أكثر، وأكثر.

لطالما تمنيت أن أظل بتلك الجنان العذبة طويلاً. تمر اللحظة كالحلم. استعيد وعيي، أعتذر لِنفسي، هي ترجع إلى صوابها، وسرعان ما تهتدي إلى حل مسألتها، فأطيعها على الورق بانصياع. تقول لغيري إنها تحبني، ولا تتحمل ابتعادي عنها، تصرّح بذلك عند لحظات انفعالها، وفي التلفاز، والصحف، والإذاعة.

هي تقول كل ذلك، بينما تحول بين وصالنا. لكنني لم.. ولن .. يَتملكني اليأس، وسأمضي في طريقي للوفاء بعهدي لِنفسي وأصدقائي. وأجعلها تعترف بفضلي عليها..

لا زلت أسكب رحيقي لإعلاء شأنها، أمنحها روحي، إحساسي، وزمني، فتسكبني كما تريد، وكيف تشاء. تخرجني حرفاً، وقصيدة، ومقالاً، ورواية، وقصة وخاطرة.

أتحركُ بأناملها كما تريد، وكيفما تشاء، وأنا متلذذُ بذلك. ألا يستحق ما فعلته لها؛ أن تعترف، وبصدق، أمام الجميع بأنني كنت السبب الأول والأخير في شهرتها؟! .. وخلودها؟!.

وأني السبب في جمع كل هذا الكم الهائل من المعجبين والمعجبات.. والجوائز؟؟..

ربما يرضي ذلك الاعتراف طموحي!!

ربما .. ربما .. فيا ليتها لو تعترف!!..

استدراج

لمحها عند المحطة..

نظرت اليه بغنجٍ ودلال يُغري بالحديث معها..
شَعَر بأنه يعرفها من قبل..! لكن أين التقيا يا تُرى.. لا يدري؟
زادت شكوكه أكثر عندما ابتسمت له بعد احتكاكٍ خفيفٍ حدث
بينهما، وهما يصعدان البص وسط زحام المواصلات.
ذاكرته المسكينة تصحَّرت ولم تفلح في تذكُّر الملامح الجريئة، إلى
أن صاح شخصٌ ما باسمه، وكان ممسكاً بحافظة نقوده التي
تخفتت من الورق، ولم يعد بها سوى بطاقةً شخصيةً تخصّه.

المناضلة

الشمس تمشي بخطىً وثيدة نحو مصيرها المحتوم. تتجه نحو الغروب لتعلن بداية ليلةٍ جديدة. تتناقل وتتلكأ. تتدحرج بهدوءٍ ورهبة، كأنها تخشى هذه النهاية.. وأنا مثلها.. بعد لحظات قليلة أمضي إلى عمليتي الأولى، ولا أدري.. هل سأحيا لأواصل نضالي بعدها أم أنها ستكون نهايتي؟!.

ومثلما تسير الشمس نحو ذلك المصير بهدوءٍ ووجل؛ كنت.. أنا بُعدك في هذه الحياة، أسير بغير اهتمام. ربما حاولت أن أخفي ذلك عن جميع صديقاتي وفشلت. حتى أُمي؛ عندما تراني بهذه الحالة، كانت تسألني بلهفةٍ وحنان:

- مالك.. يا بنتي؟! لماذا لا تفرشي وتفرحي مثل بقية

البنات!!.

كنت أهرب، وأتملص من كلامها. أخشى الاجابة عليها. أحول مجرى الحديث إلى موضوعٍ آخر، تحب هي أن أحادثها فيه، دون أن أدعها تنتبه إلى قصدي وتحايلي عليها. وعندما سألتني اليوم عن أخبار دراستي، ولماذا أبدو مكتئبة؟!.. جاوبتها، بخبثٍ لم تعهده في من قبل:

- الامتحانات أوشكت. أصبحت على الأبواب، ومن عادتي ألا أخشاه.. أحسست بها تتغير. وجهها يكتئب، وواصلت، لكن هذه

المرّة تبدو الامتحانات صعبة، صعبة جداً، ويجب أن أخشاه.. أتمنى أن أجتازها بنجاح.. صرخت في وجهي بشدة، ثم استلطفتني، بكلماتها الرقيقة كما تعلم، قالت وهي تضمّني إلى صدرها!.

- آه يا بنتي "اطمئني وما تخافي من حاجة.. إنتي بتذاكري.. ومجتهدة كويس، ومعلوم أن المجتهد له نصيب طيب مقابل اجتهاده.. وقبلتني بحنان. قُبلةً لو لم تكن منها، أمي، لما كان لها طعم في تلك اللحظة بالذات.. وتحركت مبتعدة عني، وهمست:

- هل أعمل لك عصير برتقال ليزيل عنك هذا الزكام.. أم تفضلين كوباً من الشاي؟! ولم أدري بماذا أجيبها، وأكملت.. أعرف حبك للشاي من يدي؟!.. أحببتها بإيماءة فقط. لا أريد أن أتعبها.. خاصة وأنا في لحظاتي الأخيرة.. أعماقي كانت أكثر توتراً.. أسعى لنجاح العملية. خوفي من فشلها يبدو أكثر من خوفي من الموت نفسه!! أحتاج في لحظاتي القادمة، لتنبيه أعصابي، لا لتخديرها.. أسعى للحفاظ على شكيمتي ورباطة جأشي النفسية أكثر من قوتي وصحتي. أحتاج لتوتري هذا، أكثر من حاجتي لمقاومة الزكام.. كانت تدري حبي للشاي.. ذهبت وعادت تحمل كوب الشاي. وضعته أمامي، وقبلتني مرة ثانية.. وثالثة..

- لأنني عارفة مزاجك مع جو المذاكرة بيتعكّر ويتحتاجي تظبطي روحك شويه.. ربنا يوفقك يا بنتي.. ربنا يحقق أمانيك وينجحك..

وساقتني أفكاري سريعاً إليك، أترك تذكر بمستقرك الأبدي؟! لقاءنا الأول؛ وذلك اليوم؛ الذي كنت تتحدث فيه مع مجموعة من

الشباب بجرأة. تبدو لمن يراك فيلسوفاً لزمانك، عاقلاً وأنيقاً، وعلى غير ما ألف الناس. لأن الأناقة التي تمتلكها كانت رأيك.. وفلسفتك.. وإقناعك للعقل. حتى أعداءك.. كانوا -كما علمت فيما بعد- يدينون لك بالتقدير والاحترام. كنت فارساً دغدغ أحلام كل الفتيات، ولم أكن أنا منهن، لأنني لم أحلم بك مثلما حلمن هن بك. لم أهتم بك إلا في تلك اللحظة، عندما تحدثت عن المقاومة وواجب كل وطني غيور، ولم تقنعني طريقتك. جادلتك ساعتها بقوة، وظللت تقنعني، وأنا استمع إليك، أستمتع بكلماتك وتعايرك المتقنة، أدهشتني أفكارك.. إلى أن تغيرت نظرتي لك.. وللمقاومة .

التقينا بعدها أكثر من مرة، وكنا نزداد في كل مرة قرباً وانجذاباً. تغلغلت في روعي ووجداني سريعاً. كان تألقك يزداد في عيني كلما التقينا.. وبعد معاناة عاطفية عشتها وانتظار طويل لم أقو عليه، صارحتني بحبك لي.. تحت ضياء القمر، بهمساتٍ هادئة، وفي لفح هجير عواطفي المسكونة بك؛ قلتها، وفجرت أحاسيساً كادت أن تخمد. أتى حبك متجاوزاً كل الأمكنة وعابراً لجميع الأزمنة. كنت أنتظر.. وأنتظر حبك بشوقٍ وتحرق. أشواق للقياك لأتمتع بأروع وأحلى لحظات عمري.. وبرغم انتظاري لتلك الكلمة؛ تفاجأت بها عندما نطقتها لي.. أحبيبتك هكذا.. سواء كنت حاملة أو محقة. أحبيبتك بتواضعك للناس.. وعظمتك في قلبي.. أحبيبتك بطهرتك.. ونقاك.. هذا ما ينضح به قلبي، فلم أحبيبتني أنت إذن؟!.. من كان يدري بأن حياتنا ستتغير إلى هذه الدرجة.. ففتحول من تلك السعادة والهناء إلى هذا الجحيم.. أتدري.. لماذا!؟

هُم بالتأكيد السبب في ذلك.. هم من زرعوا فينا هذا الوجد والدمار.. لولاهم لكنا الآن في دنيا أخرى.. حفل زفافنا بعد أيام قليلة. انتظرنا هذا اليوم بلهفةٍ وصبر، امتزجت أحلامنا.. وضحكنا لنستقبله.. وبدلاً من أن نستقبل ذاك الفرح.. استقبلناهم..

دخلوا مدينتنا في عيد ميلادك، كانوا يضربون، ويقصفون المنازل.. نفس اليوم الذي سعدنا فيه العام الماضي وأهديتك فيه أحلامي، وأحاسيسي، وامتلاًنا فيه بالحب، أتى هذه المرة ممتلئاً بالهزيمة والخيبة. ولكنك.. لم تستسلم.. ولم تيأس..

كنت أقول لك:

- أنا خائفة.. أرجوك يا أحمد سيب العمل بالسياسة.. وأبعد عن الطريق ده!! كنت تنظر إلي بعيونك الجريئة.. وتقول بغضب وثورة:

- إنتي برضو بتصدقي يا فاطمة.. إنو عملنا ده سياسي.. ده اسمه حق الدفاع عن النفس.. ديل هم البغصبونا على العمل كده.. تحاول أن تصمت.. ولكنك لا تحتمل نظراتي المتسائلة وتواصل.. المقاومة حق مشروع لكل صاحب وطن مسلوب.. وتصمت بعدها..

كنت خائفة عليك.. أخشى أن أفقدك وأنا في قمة ولعي واعتزازي بك، كنت قد جهّزت لنفسي حلماً جميلاً.. وهادئاً.. ولكن.. ها أنذا.. أقف وحيدة.. وكأن الدنيا أرادت أن تسلبني أهم وأعلى ما أملك فيها، ولم يدم حلمي طويلاً.. نسفوا منزلك بمن فيه.. أنت.. وأهلك.. أسرتك كلها وجيرانك.. تركوني وحيدة.. وضعيفة.. ولكن.. هيئات

أن أكون لهم كما أرادوا.. سأكون كما أريد أنا.. وكما تريدني أنت أن أكون..

ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أقف أمام حسن، صديقك وزميلك في المقاومة. طلبت منه أن يضمني إلى أفراد المقاومة.. رجوتهم أن يضعوني مكانك وأن أقوم بتلك العملية التي كنت أنت من خطط لها.. هيأت نفسي لذلك التحدي.. أعرف أنك سترضى عني.. وستفرح كثيراً ونحتفل معاً عندما التقيك هناك.

تمضي اللحظات، وكوب الشاي يقف مُتحدياً.. تركته أُمي على المنضدة، أخذتُ تستدرجني لأشرح لها ما بنفسي من قلقٍ وتوتر. تتوسل إليّ.. لماذا لا تشربي الشاي؟!.. لا أجيبها.. أتجرعه بتلذذٍ مصطنع.. تعاندني جرعتان بأخر الكوب، وتصرّان على العصيان.. حاسة الذوق عندي تصاب بعُطبٍ مُفاجئ.. تدق الساعة معلنة السادسة، والعملية يحين وقتها، ويبدأ العمر في التناقص.. أضع الكوب على المنضدة.. أذهب صوب أُمي.. أودعها بقبّلتين هادئتين.. تردهما بأُخرتين تحملان كل حنان الدنيا.. أودعها، وانطلق في طريق اللا.. عودة

تهويمات شجيرة لقلب محترق

أمنية

التقيا، كانت مثل نجمة بَحَثَ عنها طويلاً، وكان فارساً مُرْتَقِباً
انتظرتة على أحرَّ من الجمر.

تعانقا قبل أن يلتقيا كثيراً. في الأحلام، بين الأمواج، وفوق
السحب. أخذت النجمة تعلقو من جديد، وأخذ يطير خلفها محاولاً
اللحاق بها. قالت:

– هكذا أنا دومًا لمن أرادني، صعبة المنال، وبعيدة،
قال: "تمنيتك هكذا".

قالت: "تَحَرَّكْ، اسرع لتلحق بي إذن"..
أخذ، يبحث السير، باذلاً كل ما في وسعه من جهد.

وظيفة

رَفَضَتْهُ، فاعتزل العمل وكل شيء والتزم البيت.
تساءل الناس: لِمَ الغباء؟! وفيم خلط الأمور، والأوراق
والمعاملات؟

قالوا: لعن الله الجهل الذي يضيِّع أصحابه.
عادتْ، وَقَبِلَتْهُ، فَقَبِلَ أن يرجع إلى عمله..
وظل يتطلع إلى عينيها طوال النهار.

هذيان

جلستُ إليه أخيراً، بعد أن أرقت قلبه وقلّبتّه فوق جمر الحرمان
والفراق.

كان على ثقة بأنها سترضح في النهاية لأمر الهوى، ورعشات
القلب، لكن لماذا لم تبدأ بالحديث، أيبتره هو؟!
نطق اسمها وكرّره، في نفس اللحظة التي كانت فيها أمه تقترب
منه بحنان وتوجّه حديثها إلى أحدهم، متسائلة:
"إلى متى ستستمر حالة هذيانه هذه يا دكتور؟.."

احتراق

أخطأتُ في حقه كثيراً..
احتملها كارهاً، وأخذ يقول لنفسه مواسياً: كل شيء يهون من
أجل الحب..
أخطأتُ، مرتين، ومرات، وكثرت مواساته لنفسه..
تصاعد الدخان من أعماقه، ولم تدر بأن قلبه احترق.

انهيار

كانت قوية وصامدة، وصابرة..
تختلف عن بنات جنسها، تتحدث، وكلها ثقة بالنفس..
لم تَحْنُ يوماً عينيها إلى الأسفل..
ترى الدنيا بمنظار غير الذي ترى به جميع النساء..
قابلته يوماً.. تعرفت عليه.. مضت أيام وليالٍ.. ولم يلتقيا بعد
ذلك..

لم يكن قد صرَّح لها بحبه بعد!
لكن قلاعها وحصونها، دُكَّتْ وانهارت.

براءة

عذبةٌ هي كمياه النيل، وارفة كظلال تلك الشجرة عندما يجلسا
تحتها.. رائحة كتلك الورود التي يهديها إليها. قوية كما الأمواج
عندما تثور ضد قاربٍ صغيرٍ بعرض البحر..
بريئةٌ كقلب الطفل عندما يهم بتقبيلها آخر المساء..
كان ينشد الزواج.. تركه مكتفياً بحبها البريء..

وداع

عيناها تكاد تقول شيئاً غير مفهوم، وشفاتها يتملكهما صمت
مطبق. عيناها تدمع، وتكاد تقول شيئاً ما، ولكنها لا تنطق!
توجّع قلبه في وداعها وغالبه بالرحيل..
فاجأها حزنها، وأخذت عيناها تنطق دمعاً وأسى.

عزاء

افترقا، وتواعدا أن يلتقيا صباح الغد، وكان ذلك آخر الليل.
عزفت الأشواق على وتر الأمل الموعود صباحاً..
طال النوى، وتنازعت الأرواح..
ولم يبرز فجر لُقياهما بعد.

قرار

جلسا متجاورين.
كان يحمل في داخله كَمًّا هائلاً من الأشواق والحنان واللوعة.
وكانت تحمل ما يتمناه من إحساس وعاطفة وحب.. لم يستطع
التعبير عن نُبل قلبه.
في لحظات الصفاء تقول: إني لك!
فيرد: وماذا لو حدث ما نخشاه، هل ستمانعين؟! .. فلا تجيب..
صمتا طويلاً...
أخرجت ورقة وكتبت عليها: ابتعد عني .
مدتها إليه! قرأها، وكتب على ظهرها بخط مرتجف.
"إذن فليشهد التاريخ، إني قد رحلت..".

ثلاثُ ساعاتٍ من الزمن النبيل

بيتنا امتلاً عن آخره بالجيران والزوار، وأصوات النساء تضح بحكايات وأخبار عن أحوال الحي الذي نسكنه منذ سنين، وصوت ست البنات الطاغي، يصلني كالعادة قبل بلوغي عتبة الباب.

- بالأمس حدثت حادثة سرقة بمنزل حاجة فاطمة الدالية.

- يا ساتر؟

قالتها باندهاش حاجة شامة، مفسحة المجال لست البنات وتاركة لها أمر التربع على عرش الجلسة النسائية بمنزلنا.

- لقد سمعت الحكاية من بعض الجارات بالسوق القريب، ذكروا بأن اللص دخل بيت حاجة فاطمة وأخذ كل الأشياء المهمة.. الديجتال والتلفزيون والكمبيوتر المحمول وأجهزة الاتصال كلها.. وبسبب نوم أهل البيت الثقيل دخل وخرج دون أن يعترضه أحد..

- وأين حاج الحكيم والأولاد؟

- حاج الحكيم!! كيف له أن يصحو من نومه وهو طول النهار

يعمل ويجاهد؟

ويتواصل للغط والضحك والحديث.. إذن فقد نسي الجميع الحادثة التي أشعلت بيتنا قبل قليل. يهمس لنفسه وهو جالس في غرفته ولا يرغب في الخروج منها. ينظر إلى الزوار بشيءٍ من الخجل والارتباك. صداع خفيف فعل به الأفاعيل، وماذا لو كان غير ذلك؟.

كعادته دائماً عندما تداهمه الأنفلونزا أو الصداع يهرع إلى صيدليته المنزلية، ويلتهم منها ما يريد، أو ما يخيل إليه أنه يحمل بين طياته شفاءً عاجلاً.. صيدليته المنزلية التي لم تخل يوماً من أنواع الدواء. قد تفيض أحياناً فيعطي الجيران والأصدقاء عند الضرورة الملحّة. يأتي بالدواء من دون روثته طبية مكتوبة من الأطباء، ويأخذها من صيدلية صديقه القريبة من المستشفى. وعندما يزوره لا ينسى دائماً أن يلقي نظرة حانية على حسائه التي تساعد في أعمال الصيدلية، ويقسم في نفسه أن سيطلب يدها يوماً ما.. الصيدلية مشوار جميل على نفسه بكل الأحوال.. كثيراً ما تجده داخلًا بباب الصيدلية وهو يحادث أحد أصدقائه قائلاً: لا بأس من أخذ عدة أنواع من الأدوية الجسدية والروحية لنفس معلولة..

وعندما داهمه الصداع الخفيف، الذي لم يكن يستاهل كل ما حدث من هلع وخوف؛ فتح ثلاجته وأخذ منها الحبوب التي يريد، وتناول حبتين مرة واحدة، قذفهما إلى جوفه في عجلة، وأتبعهما بالماء المثلج، ومضى يعالج أشياء ما على جهاز الكمبيوتر في غرفته.. ولو لم يزودوا جسمه المضطرب الهزيل بدربات ملح الطعام؛ لكان الآن قد فارق الحياة.

الذين أسعفوه قالوا إنهم وجدوه مشتتاً ومضطرباً خائر القوى، كان جسمه مصاباً بفتور وتعب غير عاديين، وعلى أطرافه خمول غريب، وإحساس الموت كان يسري في أوصاله. وكان أن أعلن الطبيب لأسرته التي لحقت به المستشفى:

- إنه يعاني من انخفاض حاد في ضغط الدم، يجب إسعافه حالاً
بدرج الملح.

واستغرب الجميع، وباغتهم السؤال، ما الذي أصابه؟ وهل
يعاني سابقاً من هذا المرض؟
هو وحده كان يعرف الحكاية..

يعرفها ويبتسم في خبث، ويقسم أنه لن يكررها مرة ثانية.
فحبتان فقط، من دواء "اتينولول" بدلاً عن حبات "البندول"
المعتادة، كانت كافية لسلب حي الصافية ثلاث ساعات من الزمن
النبيل.

الاستقالة

- فلتظل صداقتنا إذن!

قالها وهو يشعر بانهزامية وجُبْنِ حَادَيْنِ. لكن على الأقل فهو مرتاحٌ مما حدث، ولن يرجع إلى ما كان يفعله في الماضي، بعد أن خرج من ذلك المكان!

رشفتُ من كوب الشاي الذي بردتُ حرارته، لطول بقائه بالمنضدة رشفةً عميقة، وخطرت لي خاطرة أخرى. فواصلت:
لم يكن إبراهيم وعبد الوهاب من أبناء أُسرٍ عريقة، أو لم يكونا من أصحاب الجاه والأموال! ولكن كما يبدو حالهما هنا؛ فقد تسير الأمور - في بعض المرات - بعكس ما يتوقع الجميع.. فهما صديقان؛ وقريبان جداً من بعضهما.. عاشا سنين عديدة متلازمين، رفقاء، لم يفترقا طوال تلك الفترة سوى بعض المرات القليلة جداً.. خاصة عندما يسافر أحدهما لتلقي دورة تدريبية، أو لقضاء إجازة ترفيهية خارج البلاد. وحينما يقتنصان فريستهما، كانا يقتسمانها بالتساوي. بل أصبحا من المتخصصين في مجال اقتناص الفرص والفرائس، فالمعاملة التي أمامها بعض العقبات الإدارية، أو التي قد تطول فترتها الزمنية بالأضابير والأدراج، أو ماشابه ذلك من عقبات وتحتاج للاجتهاد والتسهيل، لا ينجح في حلها إلا مَنْ تخصص في مثل هذه الأعمال!، إبراهيم وصديقه عبد الوهاب...

وعلى من يرى في نفسه الاحتياج والقدرة، أن يستعد لتسهيل أمره وقضاء حوائجه بأشياء ذات قيمة وفائدة!.

في فترات سابقة كانا يحذران الآخرين، ويمتنعان عن أخذها إلا من تحت حجاب، أما الآن فقد تطورت الحياة وصعبت، ولا بد من تلازم الفكرة مع الأحداث، إذ لا لزوم للحرص الشديد، ولا مانع من الانتشار طالما سيأتي لهما بالزيادة!.. وهكذا.. أثرى الاثنان ثراءً عظيماً..

فتكالبت عليهما ملذات الدنيا وزينتها، بل اجتمع حولهما مئات العملاء وكبرت شبكة علاقاتهما بالتجار، والسماسة، وأرباب الأعمال، ومحتاجي الخدمة من كل الأصناف حتى أرباب المعاشات؛ وفجأة!، انتبه إبراهيم لخطورة واقعه، ولمح بريق نجاته الخفي في برهة زمنية نادرة. حدث ذلك؛ بعد اعتلالٍ بسيطٍ في صحته، وشعوره بخطورة الطريق الذي يسلكها، فبدأ يتحسس ما حوله، ومَنْ حوله.. بكى، واستغفر ربه، وصمم على فعل شيءٍ ما. آه، يجب أن أتوقف هنا..

أحسستُ بصعوبة في حركة القلم السائل الذي كنت أكتب به، وشعرت بخفوت أثره على الورق، فبدلته بآخر، ثم رشفتُ رشفةً أخرى من كوب الشاي البارد الذي أمامي.. في نفس اللحظة التي كان فيها هاتفي النقال يرن مرتين ولم أوله اهتمامي! وحباً من العرق تترى وتنقط على أطراف الورقة التي أمامي بالمنضدة..

وفي المؤسسة صباحاً؛ تفاجأ الجميع بالاستقالة الصاخبة التي قدمها إبراهيم! ولم تفلح كل المحاولات التي بذلها المدير العام،

والأصدقاء، والزملاء لإثناؤه، أو تراجعه عن تلك الاستقالة المفاجئة!
فيما دار بينه وعبد الوهاب حوارٌ صامتٌ، وهادئٌ، وطويلٌ..
فكَّر أن يبوح لصديقه عن أشياء كثيرة.. أن ينصحه، أو يهدده،
أو..؟!، ولم يستطع، فكتم ما بنفسه وهمس بجِبْنِ خائب:
- لتظل صداقتنا إذن!

قالها ولم تعكّر صفوه تلك الانهزامية التي انسحب بها من قلب
الأحداث، تاركاً ساحة المعركة لغيره من الوحوش الأخرى.. خرج
وهو يشعر براحةٍ نفسيةٍ افتقدها منذ سنواتٍ طويلة.
هي النهاية إذن.. تنهدتُ بنشوةٍ وارتياحٍ! ووضعتُ قلمي
متأملاً المخطوطة التي تناثرت أوراقها أمامي، فقد اكتملت القصة
أخيراً، وانتبهت لحظتها فقط لهاتفني النقال الذي ظل يرن بتلاحقٍ
ولهفةٍ، رفعتَه فوجدت عشرات المكالمات المفقودة التي مرّت دون أن
أشعر، أو أحس بها طوال الدقائق الماضية، التي انشغلت فيها
بالكتابة.

لعنةُ الساعةِ التاسعةِ

الساعة تقترب من التاسعة مساءً.

عقرب الثواني يرتفع صوتها نتيجة للهدوء والصمت والترقب الذي أصابني. عقرب الدقائق تبطئ من حركتها أكثر، ولا تتحرك إلى الأعلى، كأن هناك من يقف خلفها ويجرّها جرّاً إلى الوراء. وأنا جالس بالغرفة لوحدي. أراقب ذلك بدقات قلبٍ متلهفة ومتزايدة. يرتفع صدري وينخفض مع كل دقة ثانية جديدة. قلبي يسبق كل شيء بالغرفة وتبدو دقاته هي الأسرع.

تقترب لحظة الصفر التي انتظرها. يحدوني أملٌ متجدد.. يضاعف من قوتي وانفعالي شيئان هما: ساعة الحائط، وسماعة الهاتف.. تركيزي ينصب عليهما فقط. ويقترب اللقاء.. ما أحلى هذه التاسعة التي ستجمعني بها، وما أجمل الانتظار عندما يعقبه الالتقاء بحبيبٍ بعيد.

وتبدأ الساعة دقاتها، الأولى، والثانية، والتاسعة وأنتظر للحظات، لا يفارقني الأمل في سماع جرس الهاتف.. فقد وعدتني ولم تخلف وعداً قبل ذلك؛ ولكن، ها هي الساعة تتجاوز التاسعة بعشر دقائق ولم يتحرّك الهاتف. لم يرن شيء في هذه الغرفة الهادئة إلا من أنفاسي.

وسرعان ما بدأت المخاوف والهواجس ترن بخيالي بدلاً عن جرسها المنتظر، وأخذت الأحلام المفزعة تجتاحني من كل صوب واتجاه. قاومتها بكل ما أملك من ذكريات سعيدة. تعمدت أن أطلق العنان لأفكاري وخيالاتي وأحلامي الجميلة، تركتها تتقاذفني..

تذكرتها عندما ترتدي بدلتها الرمادية التي أحببت بسببها كل من تلبس هذا اللون، ونبهتني إلى لون البحر والسماء الجميلين. ضحكتُ عندما مرّت بخيالي جملتها وتعليقها النرجسي الجميل: "البحر والسماء يقلدانني ويلبسان هذا اللون، ولن أَرْضَى بمشاركتهما لي هذا الجمال".. كان ذلك في عيد ميلادها. رجوتها أن ترتدي الرمادي مرة أخرى، وتفاجأت عندما قابلتني بابتسامتها العريضة، ووجهها الطفولي، وهي مرتديةً لأحد أثوابها الأخرى..

كتمتُ غيظي وحاولت أن أبدو عادياً وهادئاً حتى لا تكتشف أمري. حاولت أن أبدو كمن لم يهتم بالأمر، ولم أستطع، فسألتها خائفاً:

-لماذا لم تلبسي الرمادي كما طلبت منك؟.

ردتُ بسذاجة مصطنعة، كالذي ينسى ولا يقصد، وأكلتُ علقتهما الساخنة:

- لماذا الرمادي في هذا الحر، وعندني ما هو أجمل وأخف منه!

- وهل هذا أجمل من الرمادي؟ قلتها باستغراب وقلبي يكاد يتفطر وينشطر من الغضب، فردت قائلة:

-ما تراه أنت غير مناسب، أو غير جميل؛ قد يراه الآخرون عكسك تماماً.. عليك أن تفهم ذلك.. وفهمت أنها تقصد ألا تلبسه عمداً، ولم يكن عن طريق النسيان أو الصدفة.

واصلتُ حديثي:

- وأين موقعي بين هولاء الآخرين؟!

سكتت، ولم تقل شيئاً، فأثرت ألا أناقشها بعد ذلك حول الموضوع.

أعرف مثل هذا النوع من النساء. يتصنع القوة والصلابة والاعتزاز برأيه. يُمارس التعالي الأجوف أمامك، بينما تغلي أعماقه من الداخل. يُظهر التحدي والافتخار والكبرياء، بينما تنهار مشاعره في نهاية الطريق. يبدأ تعامله مهاجماً دائماً، سلاحه قوة الشخصية المصطنعة التي تخفي ضعفها الحقيقي مكابرةً وعناد.. كنت مؤقناً بأن هذا النوع يستسلم بصعوبة، ولكنه ينهار في نهاية المطاف.

كنت مشوشاً جداً. داخلي صراع رهيب، هل أصارحها بحبي؟ أم يا ترى عليّ أن أتأكد من مشاعرها تجاهي قبل إعلان حبي لها؟ هل أنتظرها حتى لا يتحرّج موقفي، أم أختصر الطريق، وأدلف مباشرة لباحات قلبها النضرة؟!.

لم أتعوّد التسليم والانهيال بهذه السهولة أمام العذارى.. دائماً ما تستهويني صاحبة القلب العنيد، تلك التي تصبر على نار الشوق والهوى حتى الرمق الأخير ولا تعترف بمكنوناتها، فلا أستطيع أن أتأكد من حبيها إلا بشق الأنفس. لهذا أعجبني أسلوبها العنيد، وتحديها الشرس، وصممت في نفسي قبول هذا التحدي، وقررت عدم الإفصاح عن شعوري وما يعتمل في صدري، وما يحمله لها من حبّ جارف .

وتواصلت لقاءاتنا، وتكررت، وكل منا يمسك بجمرة الهوى حتى تكاد أن تحرقه ولا يدفعها من يده للآخر، نتحرَّق ولا نفصح. نسمع همسات دواخلنا ولا نخرجها لبعضنا. كل منا يظهر القوة والصبر ودواخلنا تشتعل، وتغلي. كانت تستمع إلى «سيلين ديون» و«ماريا كاري» و«شاكير» و«كريق ديفيد». أهدتني البومات عديدة أعجبتني، وعندما تقابلني أقول لها: "أن الكاسيت التي أهديتني إياها لم يطرمني"، كنت أقول ذلك، مع أن الحقيقة واقعٌ غيره تماماً.. وفي مرة قلت لها أن صوت الفنان «شاقى» يزعجني، فتضايقت مني، لكنني عندما قرأت لها مقاطع من أغنية فنانتها المفضلة "سليين ديون"، «because you loved me» أحسست بالفرحة تملأ عيونها، وعرفت سر الدخول إلى قلبها.. وافترقنا بعدها زمناً، ولم يلتق أحدها بالآخر.. وها أنا الآن؛ كادت أن تحطمني الهواجس والمخاوف، وأنا أنتظر اتصالها عند التاسعة كما وعدتني..

هي لم تخلف وعداً قبل ذلك، ولكن ها هي الساعات تمر، فتعلن التاسعة والنصف. يسرع قلبي في خفقانه، ترددت كثيراً وحاولت التشبث بالأمل الذي بقي لي، ولكنني تمسكت بالصبر.. ولم يبق شيء آخر..

وفي النهاية؛ دونما تفكير، رفعت سماعة الهاتف، وحركت الأرقام وجسمي كله يتصبب عرقاً ولهفة. حتى جاءني صوتها ندياً، صافياً، عميقاً.. لم أكن من السلام والتحية، فقد كان بداخلي تصميم وعزم وتحد. بادرتها بخبثٍ ولطف:

– لماذا لم تتصلي، وموعدا اليوم التاسعة؟ خير، إن شاء الله!

تمنيت لحظتها أن يحمل ردها بشارَةً إلى قلبي فيعلن انهيار
الأميرة، وعنادها الطويل. توقعت أن يذوب جبل الجليد، وأن تنهار
الحصون والأسوار، ولكني أحسست بدوران في رأسي، وشعرت
بغصةٍ شديدةٍ في حلقي، وبرغبةٍ حادةٍ وقويةٍ في الغثيان، عندما قالت
ببرود:

-آآآآآه، لقد نسيت الموعد والله..

وواصلت ببرودها الذي أعرفه: كيف حالك أنت.. وما هي
أخبارك..!! قالتها وكأنها لم تفعل شيئاً..
لم أستطع أن أتمالك نفسي، لكنني أيقنت منذ تلك اللحظة بأنني
لن أهنأ أبداً.

كذبة أبريل

الجو يبدو صحواً وجميلاً. والسحب تتحرك لترسم أشكالاً رائعة. الرياح هادئة حتى أنها بدت كنسيم عليل. وأنت تمشي على غير هدى.. لا تعلم إلى أين تقودك قدمك في هذه المرة.. فقد تعودت دائماً أن تطيل التفكير في كل أمرٍ قبل الشروع فيه أو الإقدام عليه، أما هذه المرة فأنت تعرف أن ما تفعله مغامرة كبرى. كونك الآن؛ وفي حقيقة الأمر، تحت إمرة قدميك.

وها أنت ذا تمر من أمام بقالة الأمانة التي كنت تشتري منها الحليب والسكر كل مساء. تمر من أمامها دون أن تلقي بالتحية على صديقك أحمد، الذي يبدو منهمكاً ولكنه لمحك وأنت تمر من أمامه دون إلقاء التحية. سيحفظها لك ويذكرك بها يوماً ما، فعليك بالاستعداد لمعالجة هذا الخطأ الفادح، والدفاع عن نفسك من الهممة المتوقعة. الغرور والتعالي، خاصة وأنت أصبحت تكررهما عليه هذه الأيام كثيراً.

ثم انظر لهيئتك أيضاً؛ إنها تبدو على غير المعهود فيك. تبدو وكأنك خارج لتوك من معركة كنت فيها مهزوماً، أو كأنك قد قمت بمشاكسة كلاب مسعورة استمتعت بتجريب مخالبتها على ملابسك. وما الذي ترتديه على قدميك؛ إنه من أصناف الأحذية التي لم تكن تروق لك في السابق. إنك ترتدي اليوم حذاء من غير طلاء أو دهان،

يكاد لا يعرف لونه الأسود الحقيقي، من غزارة الأتربة التي سقطت عليه، حتى أنها تتناثر مع كل حركة وخطوة تخطوها، مما يدل على أنك قد تحركت اليوم كثيراً، ولكن لا يزال اليوم في بدايته ولم تتخط الساعة العاشرة صباحاً.

معهد الفن والموسيقى.. ولحت اللافتة المضيئة، الكبيرة، خطرت بذهنك فكرة كانت تراودك منذ فترة، تبحث عنها بشغف، لماذا لا تدخل وتنضم إلى هذا المعهد لتدرس به الفن والموسيقى، فإنك كما يقول أصدقاؤك. تحمل موهبة فنية لا يشق لها غبار، أقنعك هذا المنطق، بالرغم من أنك تعلم أن العلاقة بينك والفن كالعلاقة بين الشرق والغرب، ولكن ماذا تفعل؟.. فقد كانت تملأ عليك حياتك.. كانت بالنسبة لك، كل شيء، آمالك، أحلامك، أفراحك.. كنت تلجأ إليها كلما انتابتك نوبات الحزن والأسى. كنت تهرع إليها في كل اللحظات. كانت تؤنس وحدتك، وتزيل عنك الهموم والآلام.. وبابتسامة منها توصلك إلى شواطئ السعادة متى ما تهت في غياهب الهموم والأحزان. كانت مُسَكِّناً لك من كل الأوجاع. كانت حلماً جميلاً مر سريعاً، وتركك في أحوال الاحتراق والعذاب.

كنت تظن أنها تكذب عليك عندما ألقت إليك بالنبأ الأليم وهي تكاد تحترق من الأسى. صوتها عبر الهاتف جاء يقول لك:
- سأرحل غداً، لم أعد أملك من أمري شيئاً كما تعلم.
- ما الجديد في الأمر؟
- لا أدري ولكن بعض المتغيرات قد طرأت في الموضوع.

ولم يخطر على بالك أبداً أنها صادقة في ما تقول، إذ كان ذلك في شهر أبريل، ظننت أن الموضوع لا بد كذبة، فقد مر أول الشهر ولم تمارس معك بعض أكاذيبها البيضاء الحلوة. تفاعت في نهاية الأمر بأن الموضوع كان حقيقة، ولم تكن هناك كذبة ولا أبريل. تأكدت من ذلك بعد أن اتصلت بموظف المطار، وسألته بوجل عن طائرتها ليجيبك بضجر كأنه يعلم لوعتك وخوفك.

- الطائرة ستعود في الثالثة.

أجابك عن عودتها، قبل أن يعود لمواصلة حديثه قائلاً إنها سافرت في السابعة صباحاً. وكان ذلك الخبر اليقين هو المأساة الحقيقية بالنسبة لك...

ومنذ ارتحالها، وأنت تمارس هذه الحياة الضائعة. تمشي على غير هدى.. لا تعرف سبيلاً يخرجك من هذه المصيبة التي حلت عليك دون سابق إنذار، ودون أن تفكر في الاستعداد لها.. كم من المرات يساورك التفكير وتحاول أن تقول لنفسك دائماً: "لماذا تحاول النسيان والسلوى والأمر عليك أصعب ما يكون، والحياة بدونها لن تكون". فلتطلق لذكراك العنان. وبدأت بالاشتراك في النادي ليشغلك قليلاً، لفترة قد تمتد إلى بضع ساعات من اليوم تغطي لك فترة الصباح، ولم يمر على اشتراكك في النادي يومان؛ حتى أيقنت أن الأمر لا يعدو أن يكون إلا مسكناً، يزول مفعوله مع كثرة الاستعمال والزمن. ولم يكن النادي يأخذ من زمن اليوم إلا القليل، فصنعت لنفسك برنامجاً آخر، وهو الانضمام لمسابقات السباحة بعد الثالثة

ظهراً.. أخذت تندمج في هذا البرنامج، الذي ظننت أنه آخر العلاج، وسيكون فيه شفاؤك من الآلام تماماً.

والآن لم يمض على رحيلها عنك أكثر من أسبوع واحد، وأنت غارق في الألم والذكرى والأحزان. تنتابك حالات من اليأس والكآبة.. فأقنعت نفسك بالبحث عن برنامجٍ ثالث لتقضي فيه فترتك المسائية حتى تنسى النيران المستعرة بداخلك، ولا تشعر بالفراغ الذي تركته برحيلها.. أصبحت تذكرها دائماً وهي بعيدة فتذبل الدنيا أمامك، وتسوّد لحظاتك الهانئة السعيدة؛ لهذا ما إن رأيت اللافتة المضيئة لمعهد الفن والموسيقى، حتى أسرعت ودلفت إلى مكتب المدير وقمت بتسجيل اسمك، والتوقيع ضمن الدارسين به، دون أن تسأل عن التزاماتك وواجباتك، فقد كنت تقبل كل الشروط والواجبات، مالية كانت أو غيرها، لأنك لن تجد برنامجاً آخر غيره إن تنازلت عنه، فقد كلت قدامك من بحثها المضمّن.

وبدأت الدراسة بالمعهد، قضيت اليوم الأول في الدرس، وحاولت الفهم. انتهى أول يوم بالمعهد وأنت تشعر بأطنان من التعب والإرهاق. تجثو على كاهلك كأنك تحمل الدنيا كلها فوق ظهرك. وعدت إلى منزلك، يحدوك أمل جديد في الاسترخاء والنوم. من ينظر إليك يعلم بمدى تعبك وإرهاقك.. كنت تظن أنك بعد هذا الإرهاق ستجد نفسك مرغماً على النوم بعد لحظات من وصولك إلى الفراش. وصلت واستلقيت عليه.. لم يصدق توقعك، وتبدد أملك. ظللت تنظر إلى السماء كأنك تراها لأول مرة، بينما كانت أعصابك في أقوى حالات تصلبها. ظللت هكذا حتى دقت الساعة معلنة السادسة صباحاً.

وهو موعد نزولك إلى النادي لبداية يومٍ جديدٍ وشاقٍ مثل الذي سبقه.

شهر العسل

البحر يزمر ويرمي بأواجه العاتية على الشاطئ الرمي
الجميل، والشمس تجرر أذيالها بهدوءٍ ولوعة معلنة بداية مساء
جديد، ونحن نترقبها بنشوة نادرة ونجلس متجاورين على هذا
الشاطئ الذي اخترناه أنيساً لنا ليشهد بداية حياتنا معاً، وشهر
العسل.

يتطاير الماء من حين إلى آخر ويصل إلينا ونحن نجلس على
الرمال، وعلى بعد أمتار من الساحل.. كنتِ تجلسين بجانبِي وردةً
حمراء يانعة، ينبض قلبك بالحُبِّ والاشتياقِ والحنين، بينما تتأملكِ
روحي في حُنُوِّ وافقتان.

قلبي مفعمٌ بكل همسات المحبين، ووشوشات العشاق، يترنم
بوخيك الملهم المجنون، تتقاذف حروف إحساسه يمناً ويسرى، ولا
يدري كُنه هواك، أهو حقيقة أم خيال؟ أجنون هو أم وعي،
وفضيلة؟..

التقيتك أول مرة لو تذكرك، وقلبي مثخنٌ بالجراح والآلام ولم
تكوني لحظتها لوحديك. أما أنا، فقد كنت على موعدٍ سابق بأصدقاء
أعزاء. يجمعنا كلنا حُبُّ فريقينا وتشجيعه، كنا قد اتفقنا على قضاء
يوم جميل ورائع نستمتع فيه بحضور مباراة لكرة القدم بين فريق
نعشقه وفريق آخر زائر. فالיום يوم نشوة وفرح.. وعندما تأخر

أصدقائي وكنت وحيداً بالجامعة؛ وجددتني أبحث عن أنيس في مكانٍ قريبٍ لقضاء زمني المتبقي قبل وصول أصدقائي وذهابنا إلى الاستاد.

وقابلت صديقتك التي أعرفها من قبل بكافتيريا "كلية العلوم" وكنت قد اتصلت قبلها وعلمت بوجودها بالجامعة بنفس الكافتيريا. عندما هاتفتها قالت:

- نحن في كافتيريا كلية العلوم ومعني صديقتي... فكنت أنتِ تلك الصديقة، وكنت أجمل صدفة في حياتي.

عندما دخلت الكافتيريا وسلمت على صديقتك ولم أجدك، سألت عنك وأنا لا أعرفك مسبقاً، ولم أكن أتوقع أن تأخذيني هكذا منذ الوهلة الأولى، فسألت صديقتك:

- أين التي زعمت بوجودها معك؟.. صديقي الذي كان موجوداً أيضاً ردّ وقال بإنك قد ذهبت مع صويحاتك وستعودين بعد قليل، ولم أهتم ساعتها بالأمر...

ماذا لو لم تعودني حبيبتي يومها؟ .. أسأل نفسي لوحدي هذا السؤال حتى الآن. أكنّا سنلتقي يا ترى؟، وهل كان سيربطنا شيء؟ وهل كنا سنرتبط ببعضنا كل هذا الارتباط الذي أعمانى عن رؤية بقية الأشياء، والناس؟.

من نعم الله علينا في ذلك اليوم حلوتي أن جعلك تديرين حواراً بين قلبك وقلبي منذ اللحظة الأولى. كان قلبانا يتناحيان، ويتحاوران، بينما كنا نتصافح، وسمعت قلبي يقول لك هامساً، هامساً:

- سأحبك من لحظتي هذه، وأظل راهباً متبتلاً في حبك.. أحبك،
أحبك.

وكانك تسمعين، فقد بدت نظراتك ترسل إجابات كثيرة لم يكن
الرفض منها على الأقل.

وتواصل الحوار، وقلبي يصرخ، ويصرّح بهيامه:
- وسأخطبك إن شاء الله، وحلمت بكل الذي أتى بعد ذلك..
تبتسمين.

- ونتزوج، على طريقتنا في الحب هكذا، وأرى كل الذي حدث
بعد ذلك منذ لحظتي تلك..

وأهزُّ على يديك بتحية عميقة، ويتم التعارف بيننا، تجلسين كما
أنتِ أمامي الآن، غابّةً من فتنّة، وجوهرةً ثمينة..

صديقي العزيز الذي يعرف توهاني بالفاتنات، وصديقتك
أيضاً، كانا في حالة من الدهشة، والكافتيريا تضح بالطلاب
والطالبات، وأنا أفكر في كيفية الاستحواذ عليك.. وتملُك.. أضحك
من أعماقي عندما أتذكر حديث صديقي الذي راهنني بك، همس لي
قبل حضورك:

- أراهنك يا صاحبي، ستقع في عشقها منذ النظرة الأولى، أعرف
أن قلبك رهيف ولن يتحمل رؤيتها.. فأرد عليه بثبات:
- من الذي سيقع!!؟؟ لقد تجاوزت هذه الأشياء منذ فترة، وأنت
تعلم بذلك..

أضحك من أعماقي أكثر عندما أتذكره ينظر إليّ وأنا مشدوه
بروعتك، واقفاً مسلوب الإرادة، ومأخوذاً بحسبك بعد لحظات. فقد

كنتُ ممتلئاً بك حتى الثمالة. أعلم أنني قد خسرت الرهان معه، ولكنني كسبت حبك، وقلبك، وهواك.

وظللت أفكر بجديّة في طريقة الاستحواذ عليك، والانفراد بك، ولم أجد معبراً للوصول اليك بين الإثنين الجالسين معنا، فأطلقت عزومتي عليهم:

- تقبلوا دعوتي للغداء يا شباب؟.

وعندما ترددوا في الاختيار وجدت الفرصة مواتية وفاجأتهم، وفاجأتك أيضاً، بوقوفي أمامك، وأخذك معي لشراء ساندوتشات البطاطس المحمرة والبيرقر والعصير، ولم أنس أن أجلسك بجانبني عند عودتنا ومعنا الساندوتشات حتى تبدو جلستنا بريئة، وكأنها قد أتت عن طريق الصدفة.

وتحدثنا، فكانت كل حركة من حركات شفطيك أغنية وسيمفونية عزفها قلبي، وصدح بها فؤادي حين حس بالألم ومرارة فراقك فيما بعد. وكتبت لك شهادة توظيفك ملكةً بفؤادي، وأميرة لعشقي السرمدي، واعترفتُ نبضاتي بسحرك الأخّاذ منذ تلك اللحظة. وكانت بذرة حبك الأولى.

أوكنتِ تقصدين زرع هذه البذرة في تلك اللحظة؟ أم أن قلبي وحده المجنون اللاهث قد اجتباك وأسكنك دواخله لحظتها؟

واحتفلنا بعد مباركة الأهل بخطوبتنا وحبنا، وتزوجتك، على طريقتنا كما قلت لك فيما سبق، عند اللقاء الأول..

وها نحن الآن نجلس لوحدهنا، وفي شهر العسل. يجمعنا شاطئ الإسكندرية الجميل.. روعتك تستدعي كل هذه الذكريات الحميمة.

ننتبه مرة أخرى إلى غروب الشمس الذي يعلن عن جمال
اللحظة، وبداية مسرح عبثنا البريء، فأقول:
- أحبك، أحبك، أحبك ..

تغمضين عينيك بإخلاص، وتبتسمين علامة الارتياح الذي ليس
بعده شيء، أُقبِّلُك بكل ذكريات الماضي، الذي عاد الآن بهذا الساحل،
وبكل عنفوان وواقعية الحاضر، وطعم الغروب، وهوجاء البحر
وتلاطم أمواجه. ثم أضُمَّك إلى صدري برفقٍ ورِقَّةٍ تنسيك هيجان
البحر الذي يزمجر بأمواجه العاتية. نغفو معا، ونتركه ليردد أصداء
أغنية عاطفية قديمة على أنغام لحننا الواقعي الجميل.

المحتويات

الصفحة	الموضوع	الرقم
٧	توقيع باللون الأحمر	١
١٧	كبرياء مهزومة	٢
٢٣	زينوبة	٣
٣٣	طموح	٤
٣٩	استدراج	٥
٤٣	المناضلة	٦
٥١	تهويمات شجية لقلبٍ محترق	٧
٥٩	ثلاث ساعات من الزمن النبيل	٨
٦٥	الاستقالة	٩
٧١	لعنة الساعة التاسعة	١٠
٧٩	كذبة أبريل	١١
٨٧	شهر العسل	١٢

عن المؤلف

- محمد الخير حامد عبد العزيز. كاتب وباحث وإعلامي سوداني. تخرّج في كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة الخرطوم ٢٠٠٣م، ويحمل درجة الدبلوم العالي في الإدارة من نفس الجامعة. كما درس التأمين بجامعة النيلين.
- كاتب صحفي وصاحب عمود ثابت بصحف سودانية مختلفة.

• حائز على جوائز في مجالات التأليف الإبداعي والبحث العلمي منها: الجائزة الأولى في مجال القصة القصيرة للكتاب السودانيين الشباب، كما حاز المركز الأول في مجال القصة القصيرة بجامعة الخرطوم، واختيرت نصوصه من قبل لجنة الملتقى الأدبي بجامعة الإمارات لتمثيل جامعة الخرطوم بالملتقى. وفاز بالمركز الأول في الشعر بمسابقة جامعات ولاية الخرطوم، والجائزة الثانية في الشعر الفصيح على مستوى الشباب، وحققت مجموعته القصصية "لعنة الساعة التاسعة" المركز الثاني في مسابقة نادي القصة السوداني (جائزة الكاتب نبيل غالي للقصة القصيرة). وكان ضمن أفضل ثلاثة كتاب للقصة القصيرة، وأفضل خمسة شعراء؛ حازت نصوصهم على ثقة وزارة الشباب والرياضة للمشاركة بمهرجان الشباب العربي العاشر. مؤخراً؛

تُوِّج بجائزة مركز الفكر العربي للدراسات الاستراتيجية (لبنان)،
لأفضل الباحثين العرب للعام ٢٠١٧/٢٠١٨ م.

- عمل بمجالات التأمين، الإعلام والصحافة والقطاع الخاص.
واشتغل مُعدّاً ومقدِّماً للبرامج بإذاعات: (الرياضية ١٠٤ FM،
الصحة والحياة ١٠٦ FM، وإذاعة نور ١٠٥,٣ FM) بالسودان.
- باحث في مجال السياسة والعلاقات الدولية والاستراتيجية.
نشرت له أبحاث، وقدم العديد من الدراسات والأوراق العلمية
بمؤتمرات دولية.

• شارك في فعاليات ثقافية دولية وعُرضت أعماله بدول
عديدة منها على سبيل المثال: مصر، قطر، الإمارات العربية
المتحدة، وألمانيا.

• مؤلفاته المنشورة حتى الآن:

- تراتيل على رصيف الشجن، ديوان شعر.
- وابتسم الشيطان، قصص قصيرة.
- مستقبل المنطقة العربية بعد الربيع العربي،
البحث الفائز بجائزة مركز الفكر الاستراتيجي.
- إسرائيل والقرن الإفريقي.
- تيجان الحكى، قصص (محرر وكاتب مشارك).

• أعمال قيد الطباعة:

- هوس عصري، مجموعة قصص قصيرة جداً.

- حزمة جراح- ديوان شعر.
- أغنيات الفرحة الشارد، قصائد غنائية.
- هذي رؤاي، مجموعة مقالات.
- بالإضافة إلى مخطوطتين في القصة والرواية.

للتواصل مع الكاتب: E.mail:medo1199@hotmail.com

صفحة الكاتب بالفيسبوك:

[/https://web.facebook.com/mhmdelkhair](https://web.facebook.com/mhmdelkhair)

مجموعة لعنة الساعة التاسعة؛ مجموعة قصصية تأخذك إلى عالم آخر، بما فيها من أجواء قصصية وسردية بديعة ومختلفة. تفنن الكاتب في رسم شخصياته بحرفية عالية..

عبد الناصر عبد المنعم، صحفي مصري

لعنة الساعة التاسعة عندما بدأت أقرأها؛ فكرت أن أرتشف كوباً من الشاي، فهي كانت كيكة ساخنة وطازجة تلتهمها دون توقف حتى تنسى كوب الشاي الذي أمامك بارداً..

صباح محمد الحسن، صحيفة "المشهد الآن" السودانية، ٢٠ أكتوبر ٢٠١٣ م.

قصص مجموعة لعنة الساعة التاسعة مبنية على الشكل القصصي المستقر، حيث يصف السارد الشخصية، ويعطينا الخلفيات التاريخية التي تستند إليها، والتي تصبح ضمن العوامل الصارمة التي حددت الخطوط العامة لها، ثم بعد هذا يدخل الكاتب شخصياته هذه داخل موقف ما، إذ يمثل الموقف "العقدة". ثم يمسك الكاتب بالخيط الذي يوصل السرد إلى نهايته المرجوة. ويجيء السرد في لغة حية، شديدة الإيحاء، وعلى قدر كبير من السلامة والإجادة..

صحيفة "الرأي العام" السودانية- الملف الثقافي، الثلاثاء ٨ أبريل ٢٠١٤ م

محمد الخير حامد، كاتب وباحث وإعلامي سوداني، حاصل على عدد من الجوائز في مجال التأليف والبحث العلمي والإبداع، صدر له من المؤلفات: تراتيل على رصيف الشجن (ديوان شعر)، وابتسم الشيطان (قصص)، ولعنة الساعة التاسعة (قصص). وله قيد الطبع: هروب إلى الشارع الخلفي (قصص)، هوس عصري (قصص قصيرة جداً)، وعمل روائي.